

12

2015

# الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي

إصدارات لجنة التراث النفسي العربي الإسلامي

عدد 12

النفس وعلومها من منظور العلوم الإنسانية المختلفة



2021

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

لجنة البحث و الدراسة في التراث النفسي : العدد 12

# العلم في فكر ابن القيم الجوزية

## دراسة نفسية تربوية

مهدية مشومي

لجنة البحث و الدراسة في التراث النفسي : العدد 12

الفهرس

4	- مقدمة
7	- منهج الدراسة
8	- الهدف من الدراسة
10	- منهج الدراسة
14	1- البعد البدني
17	- الرأس
18	- العين
18	- الأذن
19	- أهمية السمع والبصر
19	- الأنف
20	- الفم
21	- القلب
23	- الدماغ
26	- الصحة الجسمية
30	- العناصر الأربعة والإنسان
31	- خلاصة البعد البدني
32	2- البعد الروحي:
33	- تعريف الروح
33	- خلق الروح
35	- الروح والحياة

37	- الروح والغيب
39	- الروح والنفس
43	- أمراض القلوب وشفاؤها
46	- تأثير الأرواح في الأجسام (الإصابة بالعين وعلاجها)
48	- الرقية
50	- الصرع وعلاجه
51	- علاقة العبد بربه
52	- تفاوت الأرواح
53	- مفهوم الكمال عند ابن القيم
57	- خلاصة البعد الروحي
58	3- البعد الوجداني
59	- دفع الغضب
61	- الحزن
62	- علاج حر المصيبة (مصيبة الموت)
64	- علاج الضرب والسم والحزن
65	- الفزع وعلاج الأرق
66	- المحبة ومفاسد العشق
68	- مراتب الحب
68	- تأثير المحبة
69	- أنواع المحبة
72	- مفاسد العشق
73	- أقسام العشق
74	- علاج العشق
75	- المحبة واللذة
76	- الغيرة
78	- الحسد
79	- الفرج والسرور

82	- خلاصة البعد الوجداني
82	4- البعد العقلي (المعرفي)
83	- نمو العقل
83	- أنواع العقل
84	- العلم والإرادة
85	- اللغة والفن
86	- الإنسان والبيان
86	- العلم والكمال
87	- العلم والإيمان
88	- ارتباط الحواس بالعمليات العقلية
90	- الذاكرة
91	- العلاقة بين الجانب العقلي والجانب الروحي
92	- خلاصة البعد العقلي
92	5- البعد السلوكي
94	- دور النية في السلوك
96	- الفروق الفردية في السلوك
97	- البعد الاجتماعي للسلوك
98	- الظلم والعدوان
99	- السلوك والإرادة
99	- السلوك والأسباب
100	- السلوك والتربية
104	- العلم والأخلاق والسلوك
104	- دور الحياء في السلوك
105	- تعريف الأخلاق وعلاقتها بالسلوك
109	خلاصة البعد السلوكي
110	ملح الإنسان في فكر ابن القيم
114	المراجع والمصادر

## الإنسان في فكر ابن القيم الجوزية

**مقدمة:** كان ولا يزال موضوع فهم الإنسان، ودراسته من مختلف الجوانب لتحقيق هذا الفهم ميدانا هاما من ميادين البحث في عدة مجالات واختصاصات فلسفية وعلمية وشرعية.

ومن العلوم الحديثة التي انبثقت عن هذا الاهتمام ما يسمى بالعلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة الإنسان من مختلف الأبعاد والنواحي؛ فنشأت وتطورت علوم النفس وعلوم التربية، وعلوم الاجتماع والأنثروبولوجيا (الإنسان) وغير ذلك من العلوم ذات الارتباط الوثيق بدراسة تغيير ووجدان وسلوك الإنسان وتفاعله مع الآخرين، وتأثره بهم وتأثيره فيهم.

ولكن هذا لا يعني أن الدراسات الفلسفية والشرعية القديمة والحديثة لم تهتم بهذا الموضوع سابقا بل إن الموضوع قد أصبح في العلوم الاجتماعية الحديثة مجالاً أو مجالات لتخصصات عديدة. ومن الناحية المنهجية، فإن هذه العلوم الحديثة تحاول في معظمها استعمال البحث الأمبريقي أي البحث القائم على جمع المعلومات والبيانات وتحليلها تحليلًا كميًا وكيفيًا.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع في التاريخ والتراث الإسلامي، فقد ارتأيت دراسة هذا الموضوع من خلال تقديم نماذج جادة من التراث الإسلامي حاولت دراسة الإنسان من مختلف الأبعاد. ومن العلماء الذين اهتموا بمختلف الأبعاد المرتبطة بالإنسان يبدو ابن القيم<sup>1</sup> كعلم من أهم الأعلام في هذا المجال.

فقد اهتم ابن قيم الجوزية بمختلف الجوانب التي يتكون منها الإنسان

كان ولا يزال موضوع فهم الإنسان، ودراسته من مختلف الجوانب لتحقيق هذا الفهم ميدانا هاما من ميادين البحث في عدة مجالات واختصاصات فلسفية وعلمية وشرعية.

نظرا لأهمية هذا الموضوع في التاريخ والتراث الإسلامي، فقد ارتأيت دراسة هذا الموضوع من خلال تقديم نماذج جادة من التراث الإسلامي حاولت دراسة الإنسان من مختلف الأبعاد

(الجسمية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية)؛ فكتب عن الجانب الروحي وأفاض فيه وذلك في كتابه "الروح" حيث عرف مفهوم الروح، وتعرض لقضية خلق الروح، ولعلاقة الروح بالبدن، وللعلاقة بين الروح والنفس، وهل النفس واحدة أم ثلاث، وهل الروح من أمر الغيب أم لا، ولعلاقة العبد بربه، وتعرض أيضا لمفهوم الكمال والترقي في درجاته، ولأمراض القلوب ولشفائها، كما أشار بالتفصيل إلى تأثير الأرواح في الأجسام وإلى العلاج الروحاني وحاول أن يقدم أدلة قائمة على المشاهدة والحس على ذلك؛ الشيء الذي سيشار إليه في محله.

وكتب أيضا عن حبائل إبليس الذي يعتبر عدوا للإنسان، وعن تأثير الشيطان في السلوك منطلقا في ذلك من النصوص الصريحة.

وكتب عن الفراسة وأهميتها في حل المشكلات في القضاء كما كتب عن ضرورة دراسة وفهم الواقع قبل إصدار الأحكام الشرعية في كتابه "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية"<sup>2</sup>. وتتنوع دراساته وكتاباتاته حيث كتب حتى عن الفروسية في كتابه "الفروسية"<sup>3</sup>.

وكتب ابن القيم بالتفصيل عن الجانب الجسمي وخاصة في وصف أعضاء البدن ووظائفها، وفي كيفية حفظ الصحة (الوقاية)، والعلاج وذلك في عدة كتب، ومن أهمها كتابه "زاد المعاد في هدي خير العباد" وكتابه "إغاثة اللهفان...".

واهتم أيضا بالجانب الوجداني (الانفعالات والعاطفة) خاصة في كتبه "زاد المعاد في هدي خير العباد" و"مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة" و"الداء والدواء".

أما الجانب السلوكي وخاصة في بعده الأخلاقي فقد كان محورا أساسيا في مختلف كتبه؛ إذ أن هذا الجانب هو خلاصة تفاعل وتكامل الجوانب المذكورة سلفا، وانعكاس لها. ويتجلى ذلك مثلا في كتابه "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" كما سيشار إلى ذلك لاحقا. وكتب عن التربية وما يرتبط بها من تهذيب وتوجيه أخلاقي ومدرسي ومهني في كتابه

من العلماء الذين  
اهتموا بمختلف  
الأبعاد المرتبطة  
بالإنسان بجدواين  
القيم لعلم من أهم  
الأعلام في هذا المجال.

اهتم ابن قيم الجوزية  
بمختلف الجوانب التي  
يتكون منها الإنسان  
(الجسمية والروحية  
والعقلية والوجدانية  
والسلوكية)؛ فكتب  
عن الجانب الروحي  
وأفاض فيه

تعرض أيضا لمفهوم  
الكمال والترقي في  
درجاته، ولأمراض  
القلوب ولشفائها، كما  
أشار بالتفصيل إلى  
تأثير الأرواح في  
الأجسام وإلى العلاج

"تحفة المولود".

ولا تقوتني في هذا المقام الإشارة إلى بعض الكتب والدراسات المهمة التي كتبت عن ابن قيم الجوزية وبيئته الثقافية والاجتماعية والسياسية، وإسهامه العلمي في مختلف المجالات.

ومن بين هذه الكتب كتاب "ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف"<sup>4</sup>، و "تأملات في كتاب: مدارج السالكين"<sup>5</sup>. ومن آخر هذه الدراسات كتاب: "الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس"<sup>6</sup>. وقد ذكر الباحث في هذه الدراسة أهم البحوث التي أجريت عن إسهام ابن قيم الجوزية في مختلف فنون العلم والمعرفة وخاصة في مجالي علم النفس والتربية، ويمكن الرجوع إليها لمن أراد المزيد في هذا المجال.

والمتأمل فيما كتبه ابن قيم يلاحظ تنوعا كبيرا في فكره واهتماماته شأنه في ذلك شأن العلماء الموسوعيين في إطار الحضارة الإسلامية الذين كتبوا في مختلف العلوم والمعارف والفنون. ورغم تنوع المجالات التي كتب فيها ابن القيم، فإن آراءه ومواقفه الفكرية تتسم بالعمق والنظرة الصائبة في أغلب الأحوال. وسيتضح ذلك بصفة جلية عند عرض أفكار ابن قيم الجوزية المتعلقة بالأبعاد المختلفة للإنسان سواء كانت هذه الأبعاد جسمية أم روحية أم وجدانية عقلية أم سلوكية.

ومهما يكن، فلا ينبغي تقويم أفكار ابن القيم المرتبطة بتصوير الإنسان بأبعاده المختلفة بمعزل عن النصوص الشرعية التي اعتمد عليها انطلاقا من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن السنة النبوية من جهة، وبمعزل عن السقف العلمي الذي ساد عصره من جهة أخرى.

وسيظهر تأثير كل من النصوص الشرعية والسنة النبوية في فكر ابن القيم بكل وضوح في مختلف الآراء التي سنعرضها بشيء من التفصيل، وكذلك الأمر بالنسبة للسقف العلمي الذي وصلته بعض العلوم مثل الطب والتربية وعلم الكلام في عصره.

كتبه ابن القيم  
بالتفصيل عن الجانب  
الجسمي وخاصة في  
وصف أعضاء البدن  
ووظائفها، وفي  
كيفية حفظ الصحة  
(الوقاية)، والعلاج  
وذلك في عدة كتب،  
ومن أهمها كتابه  
"زاد المعاد في هدي  
خير العباد" وكتابته  
"إغاثة اللهيان...".

الإشارة إلى بعض  
الكتب والدراسات  
المهمة التي كتبت  
الجوزية عن ابن قيم  
وبيئته الثقافية  
والاجتماعية والسياسية،  
وإسهامه العلمي في  
مختلف المجالات.



### منهج ابن القيم

قام منهج ابن قيم الجوزية في دراسته لمختلف المواضيع المشار إليها أعلاه على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع وفتوى الصحابة والقياس، واستصحاب الأصل، والمصالح المرسله، وسد الذرائع والعرف<sup>7</sup>. واعتمد ابن القيم في منهجه على إيراد الأدلة النقلية والعقلية، كما اعتمد للدفاع عن آرائه على المشاهدة والتجربة التاريخية والتجربة الشخصية في بعض الأحيان.

ولكن ابن القيم في كتابه "الطرق الحكمية" لم يغفل الإشارة إلى منهج الاستقراء القائم على جمع جزئيات قضية ما وبناء حكم كلي بناء على عملية الجمع والتركيب للجزئيات، كما سيشار إلى ذلك لاحقاً. وأعطى أمثلة كثيرة لكيفية استخدام هذا الأسلوب للاستنتاج والاستدلال في إصدار الأحكام القضائية وخاصة تلك التي لم يرد فيها نص.

وقد شرح ابن القيم في كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين" أسلوب القياس، وأكد أنه "ليس في الشريعة ما يخالف القياس"، والقياس هو "الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين؛ فالأول قياس الطرد، والثاني قياس العكس..."<sup>8</sup>.

وقد استعمل ابن القيم القياس في كثير من آرائه وخاصة عند ترجيح رأيه على بقية الآراء التي يوردها بموضوعية ويناقشها بالدليل الشرعي والعقلي في أغلب الأحيان.

وابن القيم وإن كان حنبلي المذهب إلا أنه لم يتعصب لمذهب معين بل غالباً ما كان يورد أدلة المؤيدين والمخالفين لقضية ما، ويرجح في الأخير رأياً أو حكماً معيناً سواء كان ذلك في الجانب الفقهي أم في غيره من الميادين العلمية كما سيتبين ذلك عند عرض بعض الآراء التي وردت في هذه الدراسة كما هو الحال في قضية أسبقية خلق البدن عن الروح، ومفهوم الروح في

من بين هذه الكتب كتابه "ابن قيم الجوزية: محصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف"، و "تأملاته في كتابه: مدارج السالكين". ومن آخر هذه الدراسات كتابه: "الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس

المتأمل فيما كتبه ابن قيم يلاحظ تنوعاً كبيراً في فكره واهتماماته شأنه في ذلك شأن العلماء الموسوميين في إطار الحضارة الإسلامية الذين كتبوا في مختلف العلوم والمعارف والفنون.

القرآن الكريم وقضية النفس الواحدة وصفاتها المتعددة وغير ذلك من القضايا التي تتعلق بأبعاد الإنسان: البدنية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية.

### الهدف من الدراسة

الهدف من هذه الدراسة، التي تشكل حلقة من عدة حلقات تتناول كلها موضوع "الإنسان بين التكامل والكمال في إطار الفكر الإسلامي القديم والحديث"، إعداد مادة أولية تصلح لأن تكون قاعدة لبحوث ودراسات أشمل وأعمق للدراسات الإنسانية بصفة عامة وللدراسات النفسية والاجتماعية بصفة خاصة؛ الشيء الذي يساعد الباحثين على استخراج فرضيات وتساؤلات علمية قابلة للفحص والتمحيص، وعلى ربط التراث الإسلامي بعلومه الشرعية والطبية والفلسفية وغيرها بالبحوث العصرية في ميادين اختصاصاتهم وخاصة في العلوم الطبية والنفسية والاجتماعية.

وقد جاءت هذه الفكرة كاستجابة للحاجة الماسة التي لمسها الباحث عند تدريسه لعلم النفس وخاصة "علم نفس الشخصية" لسنوات عديدة في أكثر من جامعة في العالم الإسلامي.

وينبغي أن أوضح أنه ليس من أهداف هذا البحث إجراء مقارنة بين فكر ابن القيم وعلماء النفس أو علماء الاجتماع المعاصرين، وإن كنت سأشير بصفة مختصرة لبعض الجوانب التي أسهم فيها ابن القيم مما له علاقة بعلم النفس الحديث.

وقد كان موضوع مقارنة "الطبيعة البشرية" محور دراسة أخرى قدمها الباحث قارن فيها المنظور الإسلامي للطبيعة البشرية بمختلف النظريات العصرية التي تناولت هذه الطبيعة وتصوراتها في الشخصية الانسانية في علم النفس الحديث (نظرية التحليل النفسي، نظرية السمات، النظرية

لا ينبغي تفويهم أفكار  
ابن القيم المرتبطة  
بتصور الإنسان  
بأبعاده المختلفة  
بمعزل عن النصوص  
الشرعية التي اعتمد  
عليها انطلاقاً من  
القرآن الكريم  
والحديث الشريف  
ومن السنة النبوية من  
جهة، وبمعزل عن  
السقوف العلمي الذي  
سأد محصره من جهة  
أخرى.

لكن ابن القيم في  
كتابه "الطرق  
الحكيمة" لم يغفل  
الإشارة إلى منهج  
الاستقراء القائم على  
جمع جزئياته قضية ما  
وبناء حكم كلي بناء  
على عملية الجمع  
والتركيب للجزئيات

الانسانية، النظرية السلوكية ونظرية التعلم الاجتماعي والنظرية المعرفية)<sup>9</sup>.  
ويلاحظ المتخصص في علم النفس الحديث خلو أغلب كتب "علم نفس الشخصية" من الإشارة إلى البعد الروحي مثلا في الإنسان؛ إذ يعتبر هذا الجانب ميدان الفلسفة بدلا من ميدان علم النفس؛ وذلك رغم إدراكنا أن أغلب نظريات علم النفس الحديث وخاصة في ميدان علم نفس الشخصية مبنية على أسس فلسفية أو على تجارب شخصية تم تفسيرها وفق نسق فكري أو فلسفي محدد بصفة شعورية أو لاشعورية غالبا ما يستند إما إلى خلفية دينية مسيحية-يهودية وإما إلى خلفية اديولوجية وضعية. وعليه، فإن تقديم مثل هذه الدراسة قد يغطي بعض أوجه النقص في دراسات علم النفس الحديث وخاصة في مجال علم نفس الشخصية.

وبالإضافة إلى ما ذكر، فإن لهذه الدراسة أهدافا تطبيقية في علم النفس والتربية؛ إذا أن فهم مختلف أبعاد الشخصية المذكورة أدناه بأسلوب تكاملي قد تكون له تطبيقات مثلا في المجالات الآتية:

1- العلاج النفسي: دراسة منشأ الاضطراب النفسي وكيفية تأثير الاضطراب في جانب من جوانب الشخصية وكيف تتأثر الجوانب الأخرى بهذا الاضطراب.

2- دراسة السلوك التنظيمي: ونعني به دراسة سلوك الأفراد والجماعات داخل المنظمات أو المؤسسات كموضوع الدوافع والقيادة والاتصال والقيم والثقافة وتأثره بمختلف أبعاد الشخصية.

3- المجالات التربوية: ومن أمثلة ذلك وضع البرامج والمقررات الدراسية، والإرشاد والتوجيه التربوي ومراجعة المناهج على ضوء أبعاد الشخصية المذكورة، وكذلك أساليب معاملة الأطفال وتأديب الولدان.

شرح ابن القيم في كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين" أسلوب القياس، وأحد أنه "ليس في الشريعة ما يخالف القياس"، والقياس هو "الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين؛ فالأول قياس الطرد، والثاني قياس العكس..

الهدف من هذه الدراسة، التي تشكل حلقة من حلقات تتناول كلها موضوع "الإنسان بين التكامل والكمال في إطار الفكر الإسلامي القديم والحديث"، إعداد مادة أولية تصلح لأن تكون قامة لبحوث ودراسات أشمل وأعمق للدراسات الإنسانية بصفة عامة وللدراسات النفسية والاجتماعية بصفة خاصة

### منهج الدراسة

يتمثل المنهج المعتمد في هذه الدراسة على جمع وعرض وتحليل مختلف الجوانب المتصلة بالإنسان التي تعرض لها ابن قيم الجوزية وتصوره للإنسان بصفة عامة؛ وذلك من خلال نموذج خماسي الأبعاد أقدمه كإطار للتحليل؛ وهذه الأبعاد (الجوانب) هي: البعد الجسمي، البعد الروحي، البعد العقلي، البعد الوجداني والبعد السلوكي.

ولا يخفي أن كل بعد من هذه الأبعاد يتفرع إلى جوانب فرعية أخرى كثيرة تشكل ميادين اختصاصات متعددة، متشابكة ومتكاملة. فالجانب الجسمي مثلا هو ميدان علم الأحياء (البيولوجيا)، وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)، والطب بفروعه المتعددة وعلوم الصيدلة وعلم الوراثة؛ إذ أن هذا الجانب تؤثر فيه الوراثة والغدد الصماء وغير الصماء والجهاز العصبي ومختلف الأعضاء الحيوية بالجسم كالقلب والكبد والكليتين والرئتين.

وكذلك الجانب الروحي متعدد الجوانب الفرعية فمنها ما يتعلق بحقيقة الروح وارتباط الروح بالبدن، ومنها ما يتعلق بتأثير القوى الغيبية في الإنسان، ومنها ما يتعلق بتأثير الاعتقاد في التفكير والسلوك، ومنها ما يتعلق بالعلاج الروحاني مما سيرد ذكر بعضها لاحقا. وقد تناولت هذه المواضيع عدة اختصاصات مثل العلوم الشرعية وعلم الكلام والفلسفة والطب النبوي وغير ذلك.

أما الجانب العقلي؛ فهو ميدان عدة اختصاصات فرعية أيضا مثل علم الأعصاب وعلم النفس العصبي وعلم النفس العام وعلوم التربية.

أما الجانب الوجداني فهو ميدان علم النفس والشعر والفنون بصفة عامة والطب النفسي والطب العام وعلم وظائف الأعضاء إذ أن بعض هذه الميادين مهتمة بالأصل الجسماني للانفعالات كتأثير الغدد والهرمونات بينما بعضها الآخر مهتم بتأثير الجانب العقلي والإدراك في نشوء الانفعالات

قد جاءت هذه الفكرة كاستجابة للحاجة الماسة التي لمسها الباحث عند تدريسه لعلم النفس وخاصة "علم نفس الشخصية" لسنوات عديدة في أكثر من جامعة في العالم الإسلامي.

ليس من أهدافه هذا البحث إجراء مقارنة بين فكر ابن القيم وعلماء النفس أو علماء الاجتماع المعاصرين

يلاحظ المتخصص في علم النفس الحديث خلو أغلب كتبه "علم نفس الشخصية" من الإشارة إلى البعد الروحي مثلا في الإنسان؛ إذ يعتبر هذا الجانب ميدان الفلسفة بدلا من ميدان علم النفس

وتصنيفها وفق إدراك معين بينما يكتفي بعضها بوصف الانفعالات دون البحث في أسبابها وكيفية التصرف فيها.

وأخيراً، فإن الجانب السلوكي هو تعبير لتفاعل وتبادل التأثير والتأثير الذي يتم بين مختلف الأبعاد التي تشكل شخصية الإنسان. وقد يتخذ هذا التعبير شكل السلوك الفردي أو الثنائي أو الجماعي أو الاجتماعي بحيث يصبح ميدان السلوك في هذه الحالات إما ميدان علم النفس الاجتماعي أو ميدان السلوك التنظيمي أو مجال علم الاجتماع بفروعه المتعددة (علم الاجتماع الصناعي أو الثقافي أو الزراعي..).

وليس هذا النموذج إلا إطاراً لإعادة تركيب الآراء المتفرقة عن الإنسان في مختلف كتب ابن القيم بهدف تصنيفها وتنظيمها لتكوين صورة متكاملة أو ملمح للإنسان في فكر هذا العالم؛ وذلك ضمن إطار أزعّم أنه إطار تكاملي؛ أي إطار تتكامل فيه الأبعاد المذكورة أعلاه مما يمكننا من فهم أفضل للإنسان من جهة، ولتفادي المقاربات والتناولات الجزئية والتجزئية للإنسان التي سادت وما تزال تسود مختلف الاختصاصات في العلوم الحديثة.

وعليه، فالمنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الجزء إلى الكل؛ بهدف تكوين صورة كلية للإنسان لاتهتمل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية على أن يتعاون مختلف المختصون على تشكيل وبلورة هذه الصورة من خلال أبحاثهم وجهودهم التي ينبغي أن تتدرج ضمن هذا التصور الذي يراعي تفاعل وتكامل مختلف أبعاد الإنسان.

وإذ أشير إلى أن هذا النموذج المعتمد في هذه الدراسة سيتطرق بشيء من التفصيل إلى مختلف الأبعاد المذكورة أعلاه إلا أنه لا يمكن لنموذج واحد أو اختصاص واحد أن يستوعب كل المجالات المذكورة أعلاه. وحسبنا أن نكتفي بإشارة إلى أهم الجوانب المشكلة لهذه الأبعاد مما يفتح المجال لاجتهادات أخرى ضمن هذا التصور.

أن أغلب نظريات علم النفس الحديث وخاصة في ميدان علم النفس الشخصية مبنية على أسس فلسفية أو على تجارب شخصية تم تفسيرها وفق نسق فكري أو فلسفي محدد بصفة شعورية أو لاشعورية غالباً ما يستند إما إلى خلفية دينية مسيحية - يهودية وإما إلى خلفية اديولوجية وضعية.

يتمثل المنهج المعتمد في هذه الدراسة على جمع وعرض وتحليل مختلف الجوانب المتصلة بالإنسان التي تعرض لها ابن قيم الجوزية وتصوره للإنسان بصفة عامة

وكتحديد إجرائي مبدئي؛ فإنني أشير إلى أن الجانب النفسي في هذا النموذج متضمن خصوصا في الجانبين: العقلي والوجداني؛ وإن كان هذان الجانبان -كما سيتبين ذلك لاحقا- يتفاعلا ويتكاملان مع بقية الجوانب الأخرى. ولكن مفهوم النفس عند ابن القيم لا يعني ذلك بالضبط إذ أوضح كما سيشرح ذلك بالتفصيل أن هذا المفهوم قد أتى في القرآن الكريم بعدة معان من بينها بمعنى الروح وبمعنى الجسد.

ويتحدد الجانب الجسمي إجرائيا أيضا في هذه الدراسة بالأعضاء التي تكون بدن الإنسان سواء كانت مرئية كالرأس واليدين والرجلين وأعضاء الحواس، أو غير مرئية (الأعضاء الداخلية) كالكبد والقلب والدماغ مما سيأتي شرحه في المحور المتعلق بهذا الجانب.

أما الجانب الاجتماعي فهو متضمن في البعد السلوكي الذي هو -كما أشرت- حصلة تفاعل وتكامل مختلف أبعاد الإنسان: الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية. وقد أفاض ابن القيم في شرح هذا الجانب؛ أي الجانب الاجتماعي، وخاصة في بعده الأخلاقي مما يتطلب دراسة مستقلة في هذا الموضوع الهام. و لاشك، أن للبعد السلوكي جانبين: جانب مرئي وجانب غير مرئي. يشمل الجانب المرئي من السلوك التفاعل مع الآخرين بينما يشمل الجانب غير المرئي نشاطات لاترى مباشرة مثل التخيل والتفكير.

وأشير إلى أن هذا النموذج لا ينظر إلى كل جانب أو بعد بصفة منفصلة عن الجوانب أو الأبعاد الأخرى إلا بصفة مؤقتة وشكلية بهدف التعمق في فهم كل جانب على حدة مع تبيان تأثير كل جانب في الجوانب الأخرى وتأثره بها. وكان الباحث قد عرض هذا النموذج بالتفصيل في دراسة أخرى تحت عنوان "الإنسان المتكامل في القرآن الكريم"<sup>10</sup>.

وعموما، فإن هذا النموذج يقوم على بعض المسلمات من أهمها:

1- تفاعل الأبعاد الخمسة المذكورة.

الجانب الروحي  
متعدد الجوانب  
الفرعية فمنها ما يتعلق  
بحقيقة الروح وارتباط  
الروح بالبدن، ومنها  
ما يتعلق بتأثير القوى  
الغيبية في الإنسان،  
ومنها ما يتعلق بتأثير  
الاعتقاد في التفكير  
والسلوك، ومنها ما  
يتعلق بالعلاج الروحاني

أما الجانب العقلي؛  
فهو ميدان عدة  
اختصاصات فرعية أيضا  
مثل علم الأعصاب وعلم  
النفس العصبي وعلم  
النفس العام وعلم  
التربية.

2- تبادل التأثير والتأثير بين هذه الأبعاد.

3- عندما يضطرب بعد من هذه الأبعاد فإن ذلك يؤثر سلبيا في الأبعاد الأخرى مما يؤدي إلى اضطرابها جميعها أو اضطراب بعضها ولو بنسب متفاوتة.

4- عندما يضطرب بعد من هذه الأبعاد تتجند باقي الأعضاء: كلها أو بعضها ولو بنسب متفاوتة لمعالجة هذا الاضطراب، وإعادة التوازن للشخصية وفق تداعي قانون الأعضاء المذكور في الحديث الشريف: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"<sup>11</sup>.

5- يمكن مقارنة هذه الأبعاد بألوان الطيف؛ فهي سبعة ألوان مرئية وعدة ألوان أخرى غير مرئية بالعين المجردة ولكن مجموعها يشكل لونا آخر يختلف تماما عن بقية الألوان وهو اللون الأبيض؛ أي أن الكل الذي يتشكل من ألوان الطيف أو قوس قزح يختلف تماما عن مجموع الأجزاء أي الألوان التي تكونه.

وكذلك الإنسان وإن كان يتكون من عدة أبعاد بعضها مرئي وقابل للملاحظة المباشرة وغير المباشرة، فإن بعضها غير قابل للملاحظة المباشرة تماما، ويتطلب مناهج وأدوات مناسبة لدراستها قد تختلف تماما عن الأدوات المستعملة لدراسة الجوانب والأبعاد القابلة للملاحظة.

والملاحظ أن الإنسان ككل أو وحدة كلية يختلف تماما عن مجموع الأجزاء التي تشكل هذا الكل مهما استقصينا هذه الأجزاء وحاولنا إحصاءها وتعدادها مهما جعلنا نستنتج أن منهج الاستقراء الناقص يغنينا عن اتباع منهج الإستقراء التام العقيم.

ولاشك أن استعراض آراء ابن القيم المتعلقة بموضوع هذه الدراسة سيوضح لنا كيف أن هذا العالم الفذ قد أقام علاقات واضحة بين مختلف

أما الجانب الوجداني فهو ميدان علم النفس والشعر والفنون بصفة خاصة والطب النفسي والطب العام وعلم وظائف الأعضاء

إن الجانب السلوكي هو تعبير لتفاعل وتبادل التأثير والتأثير الذي يتم بين مختلف الأبعاد التي تشكل شخصية الإنسان.

المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الجزء إلى الكل؛ بهدف تكوين صورة كلية للإنسان لا تهمل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية

أبعاد الشخصية، وأوضح كيفية تبادل التأثير والتأثير بين هذه الأبعاد على ضوء ما لديه من النصوص الشرعية الثابتة، وعلى ضوء المعطيات العلمية والطبية في عصره وعلى ضوء المشاهدة والتجربة الشخصية أيضا دون أن يغفل الإشارة إلى ارتباط ذلك كله بالواقع كما فعل في كتابه "الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية"، وإلى ضرورة فهم هذا الواقع في استنباط الأحكام والحلول واستنتاجها واستقرارها في بعض الأحيان.

وسيشار إلى هذا الموضوع لاحقا لما له من أهمية في مناهج البحث العلمي ونتائج ذلك على مستوى فهم المشكلات المطروحة في الواقع وإيجاد الحلول العملية لها بناء على ذلك الفهم.

وانطلاقا من المسلمات المذكورة أعلاه؛ فإننا نبسط موضوع الأبعاد المشكلة لشخصية الإنسان عسى أن يؤدي هذا التبسيط والفهم إلى تشكيل تصورات نظرية واضحة عن شخصية الإنسان قائمة على التناول التكاملي والتفاعلي لهذه الأجزاء.

ونظرا لكون الجانب الجسمي (البدني) من أسهل أبعاد الشخصية القابلة للملاحظة والدراسة، فإننا نبدأ الحديث به علما بأن ابن القيم من الذين يعتقدون بأن خلق البدن سابق لنفخ الروح فيه كما سيتبين ذلك عند الحديث عن البعد الروحي للإنسان في فكر ابن القيم.

### 1- البعد البدني

أكد ابن القيم أن الإنسان يتكون من أربعة أجزاء وهي: جزء أرضي وجزء هوائي وجزء مائي وجزء ناري<sup>12</sup>. وفصل ابن القيم القول في هذا المجال حسب سقف العلم الذي كان في عصره، ويمكن الرجوع إلى تفاصيل هذا الموضوع لمن أراد المزيد في ذلك في المصدر المذكور.

أن هذا النموذج المعتمد في هذه الدراسة سيتطرق بشيء، من التفصيل إلى مختلف الأبعاد المذكورة أعلاه إلا أنه لا يمكن لنموذج واحد أو اختصاص واحد أن يستوعب كل المجالات المذكورة أعلاه.

أن الجانب النفسي في هذا النموذج متضمن خصوصا في الجانبين: العقلي والوجداني

أن للبعد السلوكي جانبين: جانب مرئي وجانب غير مرئي. يشمل الجانب المرئي من السلوك التفاعل مع الآخرين بينما يشمل الجانب غير المرئي نشاطات لا تدرى مباشرة مثل التخيل والتفكير.



مجلة البحث والدراسة في التراث النفسي: العدد 12

---



إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

---

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2021

## أ.د. مصطفى عشوي

- تاريخ الميلاد: 1952/02/28
- الاختصاص: علم النفس التنظيمي
- الاهتمامات العلمية: مجال الشخصية ، وقضايا المنهجية في البحث العلمي والتفكير النقدي والابداع والسلوك التنظيمي



- الشهادات الأكاديمية:
  - دكتوراه في الاتصال التنظيمي وديناميات الجامعات من معهد رنسلير متعدد التقنيات نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1983
  - ماجستير علوم في علم النفس الصناعي من نفس المعهد سنة 1980
  - ليسانس في علم النفس الصناعي من جامعة الجزائر سنة 1977
- الممارسات المهنية:
  - شهادة معتمدة من معهد بيك في علاج الحصر (القلق)
  - شهادة معتمدة في التدريب على نموذج هيرمان في فهم الدماغ الكلي
  - التدريس باستعمال الحالات
- المؤلفات:
  - علم النفس المعاصر
  - الشخصية الجزائرية: دراسة نفسية ميدانية
  - تكامل مصالغ الأبدان والأنفس عند البلخي
  - البلخي نفساني سبق محوره (مع الدكتور مالك بدري)
  - الإنسان في فكر ابن القيم
  - أسس علم النفس الصناعي - التنظيمي
  - الصدمات النفسية في الجزائر (كتاب مشترك)
  - مدخل على سيكولوجية الشخصية (مترجم)
  - المدرسة الجزائرية إلى أين